منهج الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الخطابة
الخطبة الأولى في نهج البلاغة أنموذجاً

م.م عبدالحسين أحمد الخفاجي صادق جعفر الحسيني•
جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية

ملخص البحث

يمثل ما اختاره الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) من كلام سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام الذي وسمه بنهج البلاغة سفراً خالداً تنهل منه الأجيال علماً ، ومعرفةً في شتى العلوم والفنون ، وخير دليل على ذلك اهتمام العلماء ، والأدباء ، والمفكرين ، والمؤرخين ، والحاكمين،والسياسيين بهذا النهج ، دراسةً وشرحاً ، ودستوراً ، ومرجعاً .

تألفت الخطبة الأولى من (٩٣٥) كلمة ، تضمنت عشرة موضوعات وظف فيها الإمام (ع) (٦١) آية قرآنية من (٤٣) سورة من القرآن الكريم بنسبة ٣٧,٧% كما هو موضح في الجداول (١ ـــ١٠) .

أكد الإمام (ع) في خطبته حقيقة توحيد الله سبحانه وتعالى ، وإخفاق خلقه جميعاً في بلوغ مدحته ، وإحصاء نعمه ، وأداء حقه ، ليخلص الناس من عبودية الأنا ، ويرشدهم إلى معرفة خالقهم ، وإنشاء خلقه ، وتنوعه ، وإرسال الرسل ، والأنبياء رحمةً لهم ، لاسيما نبينا الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ، وما جاء به من كتابٍ مبينٍ للإنسانية مع عِدلِه أهل البيت عليهم السلام ، منتقلاً من العام إلى الخاص بطرائق متنوعة تتناسب مع العالم ، والجاهل على حدٍ سواء .

زخرت خطبته بالمثيرات ، والتعزيزات ، والاستجابات المادية ، والمعنوية لتحقق مراده من إثراء الفكر ، والروح بالمعرفة لبناء الإنسان الكامل ، مستعملاً

• بكالوريوس لغة عربية وطالب ماجستير تربية . طرائق تدريس اللغة العربية . حالياً .

الصور الحية في التعليم من السماء ، والجبال ، والشمس ، والقمر ،والأمواج لأنها أكثر رسوخاً،وأسهل فهماً لدى المتعلم كما هو موضح في الجداول (١١ــ ١٣).

كما تميزت بعض فقرات خطبته بالحقائق العلمية التي أكدها العلم الحديث من حركة الكواكب ، ودوران الفلك ، وأثر الهواء ، والماء ، والرياح في الحياة والكائنات ، معرجاً على بيان جل الأحكام الشرعية المبثوثة في آيات القرآن الكريم مسلطاً الضوء على فريضة الحج ووجوبها ، وأثرها ، وأهميتها .

Summary

The choice of AL sharief AL Radhi from Nahj AL Balagha book for Imam ALI Bin ABI Talb speech . represents an eternal book for generations . It represents a scientific knowledge for different science and Arts As a result this book became a source for study , explaintion and review for scientist / lecturers / policians and judges.

The first speech consists of 935 words , include ten topics . AL Imam ALI has used 61 Aayas and 43 surahs , from holly Qoran with 37,7 % as it is explained in tables (1-10)

AL Imam ALI indicates in his speech the fact of Allah , defeat of his creatures to reach his praise, in order to release people from selfshness , to gnide them to know Allah , to know to be create , to be different and to know how prophets are sent especially our prophet Mohammed (God's blessing and peace be upon him) . Also to know the content of holly Qoran , and to know the justice to humanity. This happen by transforming from general to specifi with different ways fits with knowledgeable and ignorant.

Imam Ali speech includes stimulating corroborating , morale and material reaction to achieve his aims and enrich his thought with learning to support human by using living picture which derive from sky, mountains, sun, moon and waves because it is more understood and fixed for the learner as shown in table (11-13).

Some paragraphs of his speech is characterized by scientific facts which were proved and ensured by modern science as the movement of planets the effect of air water and wind in life and creatures .

The speech also includes the legitimate rules cited in the Holy Quran focusing on piligrimuge (haj) and its effect and importance.

المقدمة

إنَّ كتاب نهج البلاغة يعجز اللسان والقلم عن وصفه والغور في أعماق فراقده مما حواه من علمٍ ومعارف شتى ، تسمرت العلماء ، والأدباء والبلغاء منذ زمان انتخابه وحتى اليوم على شاطئه، تواقين بالقراءة ، والإقراء ، والدرس ، والتدريس ، والشرح ، والتحقيق ، والتعليق للوقوف على وجوه بلاغته ، ومواطن روعته ، كيف لا ؟! وهو كما قال عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) : (كلام عليٍّ دون كلام الخالق وفوق كلام الخلق ماعدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم) [١] .

وقد أجاد الشريف الرضي بتسميته بـ (نهج البلاغة) ، لأنَّ (البلاغة لا تكون إلاّ وصفاً للألفاظ مع المعاني) [٢] . فالمتأمل لكلام الإمام(ع) في هذا السفر الخالد يلحظ أنّه ينتقل من معنىً إلى آخر برابطةٍ محكمةٍ لتكون رقابُ المعاني آخذة بعضها ببعض كالعقد المتلألئ .اهتم فيه الأديب ، والمؤرخ ، والحاكم ، والسياسي ، لما له من أثرٍ ؛ إنسانيٍ ، وأخلاقيٍ ، وانبرى لشرحه كثيرٌ من العلماء والفضلاء (ذكر العلامة حسين جمعة العاملي أنها بلغت .٢١٠ـ شرحاً ، ذكرها مفصلاً في كتابٍ له سماه . شروح نهج البلاغة .) [٣]

بيد أن هذه الشروح (لم تشر إلى النسخ الخطية التي أُعْتُمِدَ عليها في ضبط المتن ، مع وجود نسخ نفيسة كثيرة لهذا السفر الخالد ، وقد ظهرت أخيراً طبعات أدعي فيها أنها اعتمدت على بعض النسخ الخطية القديمة إلاّ أننا رأيناها عند التدقيق لم تعط ولم تؤدّ لتلك النسخ حقها من الدقة والضبط) [٤] .

---

(١) جواهر المطالب : ج١ ، ص ٢٩٨ .

(٢) سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، ص ٨١ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، ج١ ، ص١٠ .

(٤) نهج البلاغة ، تحقيق وضبط الشيخ قيس بهجت العطار : ص٥ .

واخترنا الخطبة الأولى بتحقيق العطار ، لأنها وقفت على (النص الأبلغ والأدق والمطابق أو الأقرب للغة قريش) [1] .

تألفت الخطبة من ٩٣٥ كلمة كانت هي الأولى في ترتيب الخطب ترابطت فيها عشرة موضوعات بعقد متوهجٍ من لؤلؤ الكمال اللغوي قالباً وروحاً . نهج فيه أمير البيان مناهج عدة ، ففي حمد الله وإحصاء نعمه وأداء حقه وإدراكه يبدأ بالنفي وينتهي بالإثبات ، وفي معرفته وتصديقه وتوحيده والإخلاص له ينتقل من إثباتٍ إلى آخر بتدرج من مرحلة إلى أخرى بشكل تصاعدي يتناسب مع الاستعداد الروحي للإنسان.ثم يوظف ناتج هذا الرقي في التمسك في التوحيد ليجنب انزلاق الفكر الإنساني وتدنيه شيئاً فشيئاً إلى وادٍ سحيق مكبلاً بقيود التشبيه والتجسيم والتشكيك .ثم يرفد الفكر والروح بغيثٍ من المثيرات والتعزيزات الفكرية والروحية المادية والمعنوية من ابتداء نشأة الخلق حتى بعثة الأنبياء واصطفائه لخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ممهداً بإثبات عدم خلو الخلق من نبيٍ مرسلٍ أو كتابٍ منزلٍ أو حجةٍ لازمةٍ أو محجةٍ قائمةٍ هكذا هي سنة الحياة وهكذا سلفت الآباء وخلفت الأبناء ، ذاكراً بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وحال أهل الأرض حين مبعثه وأثره في رسالته لهم مؤكداً على ما خلف فيهم من الكتاب والأوصياء (ع) لإنارة طريق إصلاح الإنسانية والوصول إلى سعادتها الحقيقية بإتباعهما . ناشراً جواهر كتاب الله وما حواه من حلالٍ وحرامٍ وناسخٍ ومنسوخٍ وخاصٍ وعامٍ ومرسلٍ ومحدودٍ ومحكمٍ ومتشابهٍ ، فضلاً عما حواه من القصص والأمثال ، رابطاً بين الكتاب والسنة برابطٍ محكمٍ ، خاتماً خطبته بفريضة الحج ووجوبها ،وفضائلها.

وظف الإمام (ع) إحدى وستين آيةٍ من ثلاثة وأربعين سورةٍ من القرآن الكريم في خطبته ، بينتها الجداول (١ . ١٠) ، كما وضحت الجداول (١١ . ١٣) ما زخرت فيه خطبته من المثيرات والتعزيزات والاستجابات الفكرية والروحية المادية والمعنوية ، فضلاً عن الأشكال (١ . ٧) التي صورت ما نراه مهماً من الموضوعات التي تستحق التصوير.

---

(١) المصدر نفسه : ص١٠ .

الخطبة :

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ،وَلِا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ،وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ،الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ،وَلا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ،الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ،وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ،وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ،وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَ الْخَلائِقَ بِقُدْرَتِهِ،وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ،وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ.

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ،وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقِ بِهِ،وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ،وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاصِ لَهُ،وَكَمَالُ الْإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ،لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّها غَيْرُ الْمَوْصُوفِ،وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ،فَمَنْ وَصَفَ الله سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ،وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ،وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ،وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدَ جَهِلَهُ،وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدَ حَدَّهُ،وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدَ عَدَّهُ،وَمَنْ قَالَ:(فِيمَ) فَقَدَ ضَمَّنَهُ،وَمَنْ قَالَ :(عَلَامَ ؟)فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ.

كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ،مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ،مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ،وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُزَايَلَةٍ،فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ،بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ،مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ،وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً،وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً،بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا،وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا،وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا،وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا.

أَجَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا،وَلائَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا،وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا،وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا ،عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا،مُحِيطاً بِحُدُودِها وَانْتِهَائِهَا،عَارِفاً بِقَرَائِنِها وَأَحْنَائِهَا .

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ،وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ،وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ،فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُهُ،مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ،حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ،وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ،وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ،وَقَرَنَها إِلَى حَدِّهِ،الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ،وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ .

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا،وَأَدَامَ مَرَبَّهَا،وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا،وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا،فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ،وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ،فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ،تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ،وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ،حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ،وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ،فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ،وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ،فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ

سَمَاوَاتٍ،جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً،وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً،وَسَمْكاً مَرْفُوعاً،بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا،وَلَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُها.

ثُمَّ زَيَّنَها بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ،وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ،وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً،وَقَمَراً مُنِيراً،فِي فَلَكٍ دَائِرٍ،وَسَقْفٍ سَائِرٍ،وَرَقِيمٍ مَائِرٍ .

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا،فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ،مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ،وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ،وَصَافُّونَ لا يَتَزَايَلُونَ،وَمُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ،لا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ،وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ،وَلَا فَتْرَةُ الأَبْدَانِ،وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ .

وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ،وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ،وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ.وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ،وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ .

وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ،وَالْمَارِقَةُ مِنَ اَلسَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ،وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ،وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ،نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ،مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ،مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَاَسْتَارُ الْقُدْرَةِ،لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ،وَلا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ،وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ،وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا،وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا،تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ،وَلَا طَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ،فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ،وَوُصُولٍ،وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ:أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ،وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ،لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ،وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ .ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُحِيلُهَا،وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا،وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا،وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا،وَمَعْرِفَةٍ يُفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،وَالأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ،وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ،مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ،وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ،وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ،وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ،مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ،وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ،وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ.وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ،وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ،وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ،فقال عز من قائل:﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ (١)وَقَبِيلَهُ،اعْتَرَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ،وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ،وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ،وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ،فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٤ .

لِلسَّخْطَةِ،وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ،وَإِنْجَازاً لِلعِدَةِ،فَقَالَ: ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (١).

ثُمَّ أَسْكَنَ اللهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ،وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ،وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ،فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ،وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ،فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ،وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ،وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً،وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً.

ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ،وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ،فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ البَلِيَّة،وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ.

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهُ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ،وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ،لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ،فَجَهِلُوا حَقَّهُ،وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ،وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ،وَاقتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ،فَبَعَثَ فِيهِمُ رُسُلَهُ،وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ،لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ،وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ،وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ،وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ،وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدُرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ،وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ،وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ،وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ،وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ،وَأَحْدَاثٍ تَتَتَابَعُ عَلَيْهِمْ،وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ،أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ،أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ،أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ،رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ،وَلا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ:مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ،أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ .عَلَى ذلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ،وَمَضَتِ الدُّهُورُ،وَسَلَفَتِ الآبَاءُ،وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ.

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً صَلى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ لإِنْجَازِ عِدَتِهِ،وَإِتمامِ نُبُوَّتِهِ،مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ،مَشْهورَةً سِمَاتُهُ،كَرِيماً مِيلَادُهُ،وَأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ،وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ،وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ،بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلهِ بِخَلْقِهِ،أَوْ مُلحِدٍ فِي اسْمِهِ،أَوْ مُشِيرٍ إِلى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ،وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ .

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ،وَرَضِيَ لَهُ مَاعِنْدَهُ،فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا،وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبَلوَى،فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً،وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا– إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ،وَلاعَلَمٍ قَائِمٍ —.

---

(١) سورة ص ، الآيتان : ٨٠ ، ٨١ .

كِتَابَ رَبِّكُمْ،مُبَيَّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ،وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ،وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ،وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ،وَخَاصَّهُ وَعَامَهُ،وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ،وَمُرْسَلَهُ،وَمَحْدُودَهُ،وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ،مُفَسِّراً جُمَلَهُ،وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ.

بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ،وَمُوَسَّعٍ عَلى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ،وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ،وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ،وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ،مُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ،وَبَيْنَ وَاجِبٍ بوَقْتِهِ،وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ،وَمُبَايَنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ،مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ،أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ،وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ،وَمُوسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ .

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ،الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ،يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ،وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ.

وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ،وإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ،وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ،وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ،وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ،يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ،وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ.

جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالى لِلْإِسْلامِ عَلَماً،وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً،فَرَضَ حَجَّهُ،وَأَوْجَبَ حَقَّهُ،وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ ، فقال سبحانه:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

تعد هذه الخطبة من الخطب الطوال من خطب الإمام (ع) التي ضمها كتاب نهج البلاغة ، إذ بلغت كلماتها (٩٣٥) كلمة توزعت في مواضيع متنوعة وعلى النحو الآتي : .

- ❖ حمد الله سبحانه وتعالى والإشارة إلى نعمه وصفاته .
- ❖ التوحيد الذي يمثل أول الأصول .
- ❖ نشأة الخلائق وما فيها من صفات .
- ❖ خلق الملائكة والإشارة إلى أنواعهم وصفاتهم .
- ❖ خلق آدم (ع) وقصته مع الملائكة معززة بالآية (٣٤) من سورة البقرة والآيتين (٣٧ ــ ٣٨) من سورة الحجر .
- ❖ اختيار الأنبياء (ع) وحاجة الإنسانية لهم .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٩٧ .

❖ مبعث النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإشارة إلى حال أهل الأرض قبل مبعثه الشريف حتى اصطفائه .

❖ الإشارة إلى أوصياء النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم).

❖ القرآن الكريم والإشارة إلى ما حواه هذا الكتاب الكريم .

❖ فريضة الحج معززة بالآية (٩٧) من سورة آل عمران .

فهذه عشر موضوعات تزينت بها هذه الخطبة ، ابتدأ الإمام (ع) من العام إلى الخاص ، فأول ما ابتدأ فيه هو حمد الله سبحانه وتعالى ماراً ببعض نعمه ، ومشيراً لبعض أوصافه ، ينهل من معينه القرآن الكريم الأقرب فالأقرب كما في الجدول (١) .

الجدول (١)

ت	الفقرة	الآية القرآنية
١	حمد الله	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١]
٢	إحصاء النعم	﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٢]
٣	تعذر أداء حق الله	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ٠٠ ﴾ [٣]
٤	تعذر إدراك الله	﴿ (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [٤]

ثم يتناول أهم موضوع في العقائد وأول أصل من أصولها ، الذي ابتلى فيه خلقه أشد ابتلاءً ، والذي ماز سورة التوحيد (السورة المكونة من سطرٍ واحدٍ . هذا السطر تعادل قيمته الفكرية ثلث الكتب المنزلة حسب الروايات) [٥] مؤكداً أوليته

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٢ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٤ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٩١ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ١٠٩ .

(٥) الحل الفلسفي ، للنيلي : ص ١١ .

بقوله (أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ) رابطاً تأسيسه هرمياً بقوله (وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقِ بِهِ ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ) ، ثم يغور عمقاً في بيان هذا الأصل قائلاً : (وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاصِ لَهُ ، وَكَمَالُ الْإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ) ، ثم ينهج استقرائياً في بيان تبعات وصف الله سبحانه وتعالى التي تهوي قائلها إلى وادٍ سحيق من التسافل الفكري قائلاً : (فَمَنْ وَصَفَ الله فَقَدْ قَرَنَهُ ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدَ جَهِلَهُ ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدَ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدَ عَدَّهُ ، وَمَنْ قَالَ : (فِيمَ) فَقَدَ ضَمَّنَهُ ، وَمَنْ قَالَ : (عَلَامَ ؟) فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ ، كائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُزَايَلَةٍ ، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ ، بَصِيرٌ ، إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ، مُتَوَحِّدٌ ، إِذْ لَا سَكَنَ يَستَأْنِسُ بِهِ ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ) ، والشكل (١) يبين مخروط الرقي الفكري ونقيضه مخروط التسافل الفكري ، وبينهما سلمٌ استقرائيٌ تقريبيٌ لأذهان السامعين والقارئين .

الشكل (١)

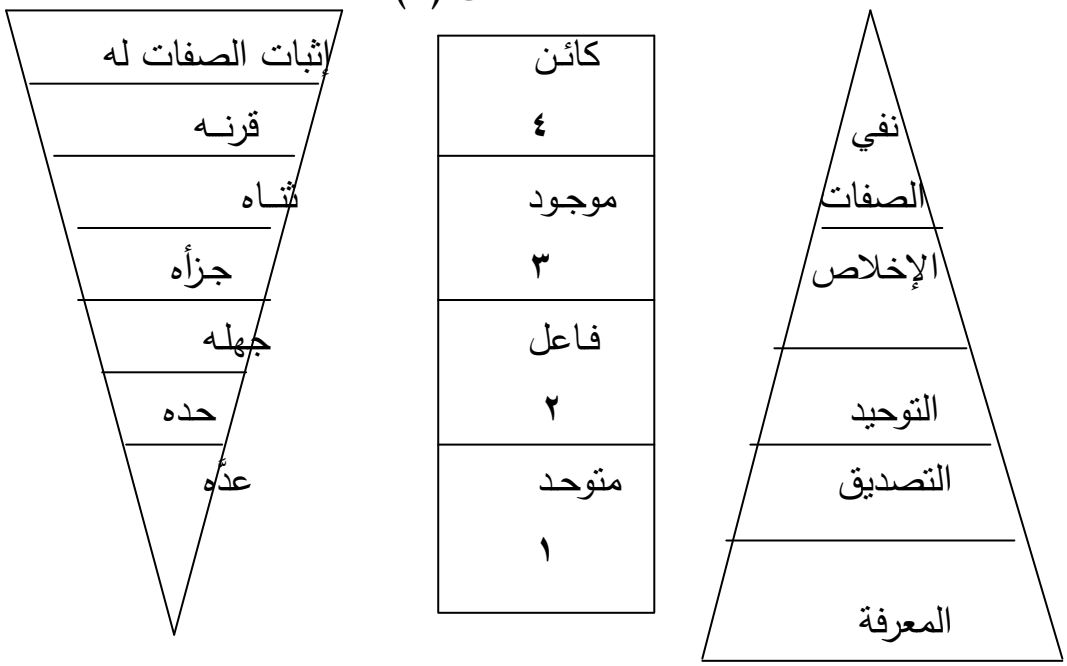

مخروط الرقي الفكري السلم الاستقرائي مخروط التسافل الفكري

مستمداً ذلك التصنيف من آيات القرآن الكريم ، وكما موضح في الجدول (٢) .

الجدول (٢)

ت	الفقرة	الآية القرآنية
١	معرفة الله	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ۞اللَّهُ الصَّمَدُ۞لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾(١)
٢	التصديق به	﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى﴾ (٢)
٣	توحيده	﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٣)
٤	نفي الصفات عنه	﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٤)
٥	وجوده وقربه	﴿... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٥)﴿.. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٦)

ثم ينتقل إلى نشأة الخلق واصفاً إياها بالابتداء من غير رويةٍ أو تجربةٍ مفصلاً هندسة خلق الله العجيب ، وما يكمن فيها من أسرارٍ حيرت عقول العلماء المتخصصين في مختلف العلوم الخاصة بالإنسان والحيوان والنبات وما له صلة بهم ، متوسعاً للكون الفسيح بأرضه وسمواته ، والجدول (٣) يوضح استعارة الإمام (ع) لدبج فراقد بيانه بما تزخر به آيات القرآن الكريم لتوظيفها في مقاصده الشريفة في الخطبة .

الجدول (٣)

ت	الفقرة	الآية
١	نشأة الخلق	﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٧)
٢	أجله	﴿... لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (١)

(١) سورة الإخلاص ، الآيات : ١ـ٣ .
(٢) سورة القيامة ، الآية : ٣١ .
(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٢٩ .
(٤) سورة الشورى ، الآية : ١١ .
(٥) سورة الحديد ، الآية : ٤ .
(٦) سورة ق ، الآية : ١٦ .
(٧) سورة الملك ، الآية : ٢٣ .

٣	ملائمة مختلفات مخلوقاته وغرز غرائزها	﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢)
٤	علمه وإحاطته ومعرفته بها	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (٣)

ويشير (ع) إلى خلق السماوات السبع وتزيينها بالكواكب ، والثواقب ، وجريان السراج المستطير ، والقمر المنير فيها ، بين سماءٍ كسقفٍ محفوظ وسماءٍ كموجٍ مكفوف بغير عمدٍ ولا دسارٍ في فلكٍ دائرٍ ، وسقفٍ سائرٍ ، ورقيمٍ مائرٍ ،كما في الشكل (٢) . مشيراً إلى دور الماء ، والهواء ، والريح العاصفة ، والزعزع القاصفة في ذلك .

الشكل (٢)

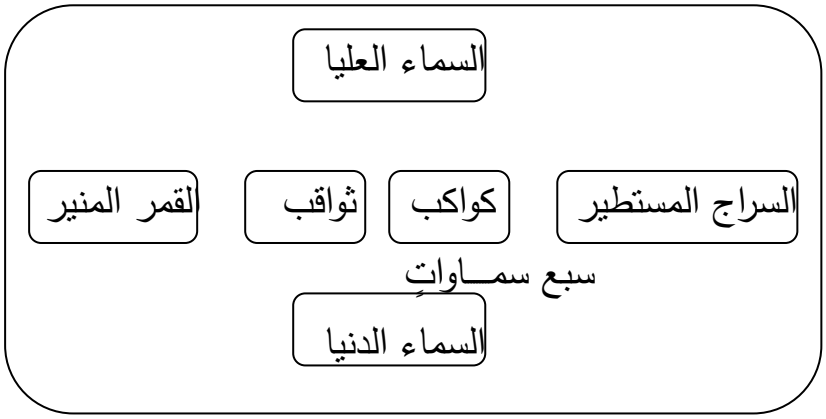

استنبط الإمام (ع) هذا التصوير العلمي الدقيق ، الفني الأنيق ، في ذلك الزمن السحيق ، من القرآن الكريم كما يوضحه الجدول (٤) .

الجدول (٤)

ت	الفقرة	الآية الكريمة

(١) سورة يونس ، الآية : ٤٩ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

(٣) سورة الطلاق ، الآية : ١٢ .

١	الهواء	﴿ ... وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (١)
٢	الماء	﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢)
٣	الريح	﴿..الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ..﴾ (٣)
٤	السماوات السبع	﴿.. فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ (٤)
٥	لا عمد ولا دسار	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ...﴾ (٥)
٦	زينة الكواكب	﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ (٦)
٧	الثواقب	﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (٧)
٨	السراج والقمر	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾ (٨)

وينتقل إلى ذكر الملائكة وكيف جعل الله منها أطواراً كما في الجدول(٥)الآتي :.

الجدول (٥)

ت	أطوار الملائكة	ت	أطوار الملائكة
١	سجود لا يركعون	٦	الحفظة للعباد
٢	ركوع لا ينتصبون	٧	سدنة الجنان وخزنتها
٣	صافون لا يتزايلون	٨	حملة العرش الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم ، والمارقة من السماء العليا أعناقهم
٤	مسبحون لا يسأمون		
٥	أمناء على الوحي		

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٣ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٨١ .
(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٩ .
(٥) سورة لقمان ، الآية : ١٠ .
(٦) سورة الصافات ، الآية : ٦ .
(٧) سورة الطارق ، الآية : ٣ .
(٨) سورة الفرقان ، الآية : ٦١ .

مسترشداً بالآيات التي ورد فيها ذكر الملائكة وأدوارها وما أنيط بها من المهام لتدبير وتنظيم الحياة ... كل الحياة ، بأمر الله سبحانه وتعالى والجدول (٦) يوضح ذلك .

الجدول (٦)

ت	أصناف الملائكة	الآية الكريمة
١	السجود	﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (١)
٢	المسبحون	﴿. الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ.﴾ (٢)
٣	الغلاظ الشداد	﴿... مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٣)
٤	المقربون	﴿... الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ .. ﴾ (٤)
٥	المقاتلون	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (٥)
٦	الرسل	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ..﴾(٦)
٧	الحفظة للعباد	﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ .. ﴾(٧) ﴾(٧)
٨	سدنة الجنان وخزنتها	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا..﴾ (٨)

(١) سورة ص ، الآية : ٧٣ .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٧٥ .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٧٢ .

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٩ .

(٦) سورة فاطر ، الآية : ١ .

(٧) سورة الرعد ، الآية : ١١ .

(٨) سورة الزمر ، الآية : ٧٣ .

٩	خزنة النار	﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾(١)
١٠	الذين يتوفون الخلائق	﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ..﴾ (٢)
١١	حملة العرش	﴿.. وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾(٣)

هذه أبرز أنواع الملائكة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وقد وظف الإمام (ع) جلها في خطبته بسطرين من الكلمات (*) . ينتقل بعد ذلك إلى ذكر الإنسان وكيفية خلقه والمراحل التي مر بها قبل أن ينفخ الله فيه من روحه وما تميز به بعد النفخ ، وتكريمه بالإيعاز للملائكة بالسجود إلى هذا المخلوق ، وامتناع إبليس وقبيله عن الامتثال لهذا الأمر والذي جلب سخطه سبحانه وتعالى وإعطائه النظرة ليميز الله الخبيث من الطيب بقانون الابتلاء ، ثم إسكان آدم (ع) داراً أرغد فيها عيشه ، ورغم تحذيره من إبليس وعداوته له إلاّ أنه غُرِّرَ من عدوه إبليس بالحصول على دار المقام ، ومرافقة الأبرار ، ورغم هذا بسط الله له في توبته ، ووعده المرد إلى جنته ، فأهبطه إلى دار الدنيا ليتناسل وتكثر ذريته ، والجدول (٧) يبين لنا الآيات التي وظفها الإمام (ع) في ذلك .

الجدول (٧)

ت	الفقرة	الآية الكريمة
١	مراحل خلق الإنسان	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾(٤) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾(٥) ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ (٦) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٧)

(١) سورة الملك ، الآية : ٨ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة الحاقة ، الآية : ١٧ .

(*) إذا استثنينا وصف الإمام للملائكة واكتفينا بما ذكره من أطوارها .

(٤) سورة السجدة ، الآية : ٧ .

(٥) سورة الرحمن ، الآية : ١٤ .

(٦) سورة الطارق ، الآية : ٦ .

(٧) سورة العلق ، الآية : ٢ .

٢	تكريمه	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (١)
٣	إنظار إبليس	﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٢) ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٣)
٤	إسكان آدم (ع)	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٤)
٥	تغرير إبليس	﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (٥)
٦	خطيئة آدم (ع)	﴿فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (٦)
٧	توبته (ع)	﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٧)
٨	اهباطه (ع) إلى دار البلاء	﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ (٨)

والإنسان في مسيرة حياته يرتكب الأخطاء مع نفسه ، ومع الآخرين نتيجةً لضعفه أمام غرائزه ، وجهله ، ولابد له من مرشدٍ وهادٍ لينير له الطريق ، ويأخذ بيده إلى دار السعادة ، ويعيش في جنة الدنيا والآخرة ، فتحليه بالفضائل والابتعاد عن الرذائل هو جنة الدنيا فضلاً عن الثواب الأخروي المكلل بالفوز بالجنة والحياة الأبدية .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٥ .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٣٨ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠ .

(٦) سورة طه ، الآية : ١٢١ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٣٧ .

(٨) سورة طه ، الآية : ١٢٣ .

ويوظف الإمام (ع) قصة آدم (ع) ليعتبر بها الناس ولا يغتروا ولا ينخدعوا لوسوسة الشيطان التي تهلك مخدوعها لا محالة ، فقد يقوم الإنسان بحرق الحرث والنسل ويعتقد أنه يطيع الله ناسياً أن طاعة الله لا تجتمع مع ظلم الرعية والإنسانية وهذا حال أغلب الحكام (إنَّ الطيارين الأمريكان الثلاثة الذين ألقوا القنبلة الذرية على هيروشيما في اليابان ، ومات وتشوه بسببها مئات الألوف ، كان كل واحد منهم يحمل معه نسخة من ((الكتاب المقدس)) إلى جانب قنبلة الفناء والدمار!!) [1].

وينتقل بعد ذلك ليبين العلة من إرسال الرسل الذين اصطفاهم من ولد آدم (ع) واتخاذهم أنبياء بعد أن بدل أكثر الخلق الفضائل بالرذائل ووقوعهم أسرى للشرك بالله سبحانه وتعالى والشكل (٣) يوضح مهمة الأنبياء (ع) .

الشكل (٣)

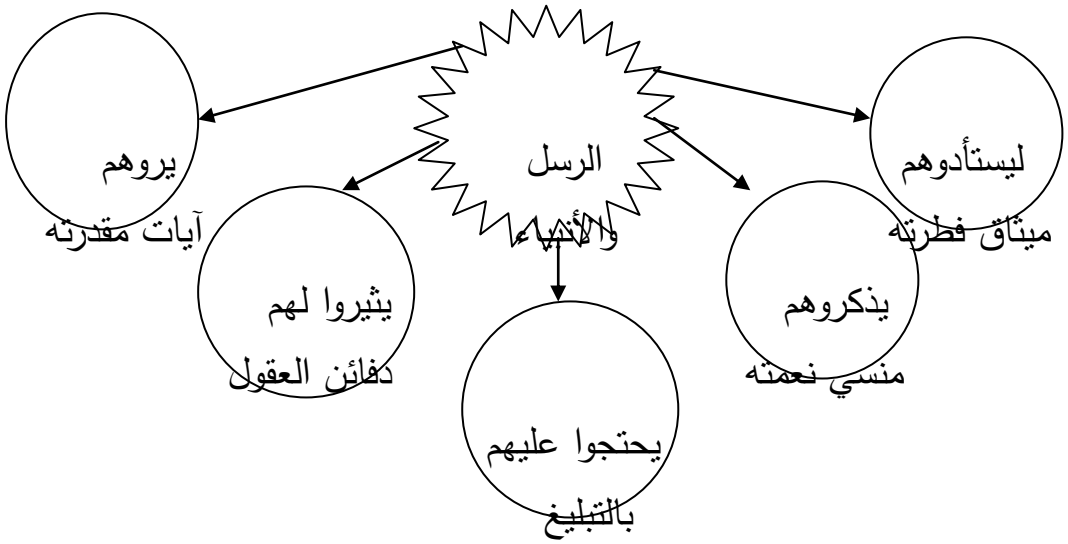

وقد برع الأنبياء (ع) في تغيير سلوك مجتمعاتهم من خلال التأثير عليهم بالمثيرات المبينة في الشكل (٤) .

الشكل (٤)

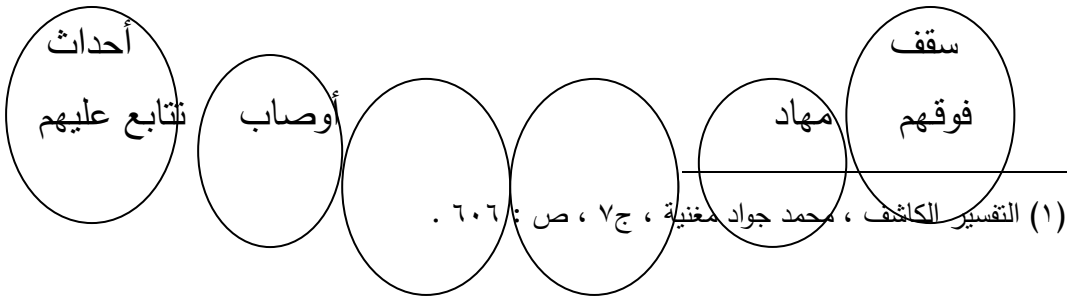

(١) التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ج٧ ، ص : ٦٠٦ .

مرفوع تحتهم معايش آجال تهرمهم

تحييهم تفنيهم

ويشير الإمام (ع) إلى عناصر هداية الناس ومدليهم إلى طريق الصلاح والعيش الكريم على وفق الشكل (٥) .

الشكل (٥)

نبي مرسل (١)	كتابٍ منزل (٢)
حجة لازمة (٣)	محجة قائمة (٤)

وهذه العناصر هي السمة التي نسلت عليها القرون ، ومضت الدهور ، وسلف الآباء ، وخلفت الأبناء كما يعبر الإمام (ع) .وهي التي تعضد فطرة الله التي فطرها للناس ، قال تعالى :﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[١] التي تزود الإنسان عن طريقها بالمعرفة التي تنير له الطريق وكما عبر عنها بالنبي الداخلي ، وإنَّ (المعرفة تحدث وتحصل عندما يبني المرء على معرفته الموجودة ، أي ؛ أنَّ الإنسان يولد المعرفة بنفسه عن طريق التأمل والجدل والحكم وتقويم الأسباب ما لها وما عليها ووزن الأدلة والشواهد ، واللجوء إلى المبادئ ، واتخاذ القرارات) [٢]

وفي الجدول (٨) نرى توظيف الإمام (ع) لآيات القرآن الكريم في رحلة الأنبياء والرسل في معترك الحياة الإنسانية وتأرجحها بين النعيم والجحيم ، بين من آمن واهتدى وتبع حجة الله على خلقه ، وجاحد ومعاند آثر الانصياع تبعاً لنزواته وأسيراً لرغباته ، ومطيعاً لأناه ، خارجاً من معسكر (قل هو) إلى معسكر (قل أنا) .

الجدول (٨)

ت	الفقرة	الآية الكريمة

(١) سورة الروم ، الآية : ٣٠ .

(٢) طرائق التدريس العامة ، للمرعي والحيلة ، ص : ٥٦ .

١	الرسل والأنبياء(ع) ودورهم	﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (١)
٢	الاعتراف بالرسل	﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى.. ﴾ (٢)
٣	إتباع الشيطان	﴿.. لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.. ﴾ (٣)
٤	إتباع الرحمن	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٤)
٥	صبر وصمود الأنبياء والرسل (ع)	﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٥)
٦	سنة الله في خلقه	﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (٦)

وينتقل الإمام (ع) إلى ذكر بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودوره الكبير في إتمام الحجة على الخلق أجمعين ،مشيراً إلى شهرة سماته ، وكرم ميلاده في زمنٍ نجد فيه أهل الأرض متفرقين متشتتين فاسدةً عقائدهم كما يوضحه الشكل (٦) .

الشكل (٦)

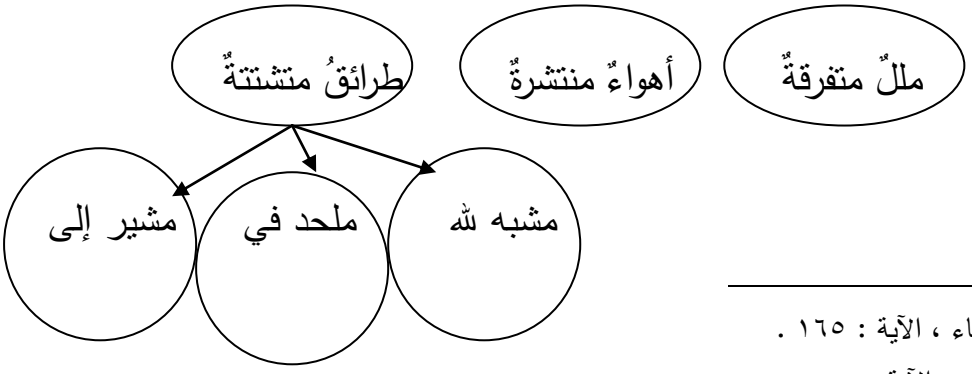

(١) سورة النساء ، الآية : ١٦٥ .
(٢) سورة غافر ، الآية : ٥٠ .
(٣) سورة النور ، الآية : ٢١ .
(٤) سورة الزمر ، الآية : ١٨ .
(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٣٤ .
(٦) سورة الأحزاب ، الآية : ٦٢ .

بخلقه اسمه غيره

وفي الجدول (٩) يوظف الإمام (ع) الآيات القرآنية في الإشارة إلى النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وصفته ، وحال أهل الأرض في زمانه ، وهدايته لهم ، وإنقاذهم من الجاهلية التي كانوا يعيشونها.

الجدول (٩)

ت	الفقرة	الآية الكريمة
١	بعثة النبي	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (١)
٢	بعض صفاته	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢)﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٣)﴿.. رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ.. ﴾ (٤)
٣	حال أهل الأرض	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٥)﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (٦)﴿..وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٧)
٤	إنقاذهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم	﴿ .. وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا .. ﴾ (٨)

(١) سورة الفتح ، الآية : ٨ .
(٢) سورة القلم ، الآية : ٤ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠ .
(٥) سورة الجاثية ، الآية : ١٨ .
(٦) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ .
(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٨ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

وبعد أن يتطرق لرحيل النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) من دار الدنيا ليلقى ربه كريماً ، يبين لهم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خلّف في هذه الأئمة ما خلّفت الأنبياء(ع) في أممها من كتبٍ وأوصياءٍ كي لا تبقى الناس هملاً بغير طريقٍ واضحٍ وقائدٍ ناصحٍ هو العلم القائم ، الذي يستضاء به ، ويفصل كتاب الله تفصيلاً تصاعدياً حلزونياً كما يوضحه الشكل (٧) .

الشكل (٧)

والجدول (١٠) يبين توظيف الإمام (ع) للآيات القرآنية في الإشارة إلى رحيل النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ووجوب التسليم والانقياد لأوصيائه وكتابه الكريم .

الجدول (١٠)

ت	الفقرة	الآية القرآنية
١	رحيل الخاتم صلى الله عليه	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

	وآله وسلم	قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ .. ﴾ [١]﴿.. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً .. ﴾ [٢]
٢	إتباع أوصيائه	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ .. ﴾ [٣]﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [٤]
٣	التمسك بكتابه	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٥]﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [٦]﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ..﴾ [٧] ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ .. هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ..﴾ [٨]

ويختم خطبته بذكر فريضة الحج وفضائله ووجوبه مستشهداً عليه بالآية السابعة والتسعين من سورة آل عمران .

إنَّ الإمام (ع) يثري الفكر والروح معاً من خلال المثيرات ، والتعزيزات ، والاستجابات ؛ المادية المجردة ، والمعنوية كما في الجداول (١١ و ١٢ و ١٣) ، لا كما ينهجه الفلاسفة من إثراءٍ للفكر دون الروح فأنتجوا وليداً أعرجاً تتضح صورته يوماً بعد يوم ، فضلاً عن الكثير من الهنات في حقائقهم المسلمة كما يزعمون .

الجدول (١١)

المثيرات المادية المجردة والمعنوية

مثير مادي مجرد	مثير معنوي
فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ،وَإِثَارَةِ مَوْجِ	أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ،وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢ .

(٦) سورة الزمر ، الآية : ٢٧ .

(٧) سورة الإسراء ، الآية : ٩ .

(٨) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

الْبِحَارِ،فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ،وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ،تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ،وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ،حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ،وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ،فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ،وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ.	التَّصْدِيقِ بِهِ،وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ،وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاصِ لَهُ،وَكَمَالُ الْإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ،لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ،وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ.
فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَات،جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً،وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً،وَسَمْكاً مَرْفُوعاً،بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا،وَلَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا.	كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ،مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ،مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ،وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُزَايَلَةٍ،فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ،بَصِيرٌ.
وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ،أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ.	أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءاً،وَابْتَدَأَهُ إِبْتِدَاءاً،بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا،وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا،وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا،وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا،أَجَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا،وَلاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا،وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا،وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا،عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا،مُحِيطاً بِحُدُودِها وَانْتِهَائِهَا،عَارِفاً بِقَرَائِنِها وَأَحْنَائِهَا .ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ،وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ.
رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ،وَلا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ:مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ،أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ .	ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا،وَأَدَامَ مَرَبَّهَا،وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا،وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا.
ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ،وَرَضِيَ لَهُ مَاعِنْدَهُ،فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا،وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبَلْوَى،فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً،وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا	ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا.

خَلَّفَتِ الأَنْبيَاءُ فِي أُمَمِهَا– إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ،وَلاعَلَمٍ قَائِمٍ —.	
وَفَرَضَ علَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ،الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ،يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ،وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ.	أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ،أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ.
وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ،وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ،وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ،وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ،يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ،وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ.	وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ،وإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ.
	جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالى لِلْإِسْلامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً،فَرَضَ حَجَّهُ ،وَأَوْجَبَ حَقَّهُ ،وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ.

الجدول (١٢)

الاستجابات المادية والمعنوية

الاستجابات المادية	الاستجابات المعنوية
فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُهُ،مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ.	فَمَنْ وَصَفَ الله فَقَدْ قَرَنَهُ،وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ،وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ،وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدَ جَهِلَهُ،وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدَ حَدَّهُ،وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدَ عَدَّهُ،وَمَنْ قَالَ:(فِيمَ) فَقَدَ ضَمَّنَهُ،وَمَنْ قَالَ:(عَلَامَ) فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ .
فَأَمَرَها بِرَدِّهِ،وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ،وَقَرَنَها إِلَى حَدِّهِ،الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ،وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ.	إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ،مُتَوَحِّدٌ،إِذْ لَا سَكَنَ يَستَأْنِسُ بِهِ،وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.
فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ،وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ،تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى	وَسَقْفٍ سَائِرٍ ،وَرَقِيمٍ مَائِرٍ .

آخِرِهِ،وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ.	
فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ.	فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ،مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ،وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ،وَصَافُّونَ لا يَتَزَايَلُونَ،وَمُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ،لا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ،وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ،وَلَا فَتْرَةُ الأَبْدَانِ،وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ .
ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ،وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ،وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً،وَقَمَراً مُنِيراً،فِي فَلَكٍ دَائِرٍ.	لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ،وَأَجلٍ مَعْلُومٍ .
ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا،وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا،تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ،وَلَا طَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ،فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ،وَوُصُولٍ وَأَعْضَاءٍ،وَفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ،وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ .	ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ.
فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً.	ذَا أَذْهَانٍ يُحِيلُهَا،وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا .
وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا،وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا.	وَمَعْرِفَةٍ يُفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،وَالأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ،وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ.
مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ،وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ،وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ،وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ.	مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ.
وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ.	وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ .

ثُمَّ أَسْكَنَ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ،وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ،وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ،فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ،وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ،فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ،وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ،وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً،وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً .	وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلاَئِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ،وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ،وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ.
ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ،وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ،فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ البَلِيَّة،وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ .	وَقَبِيلَهُ،اعْتَرَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ،وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ،وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ،وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ،فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسَّخْطَةِ،وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ،وَإِنْجَازاً لِلعِدَةِ.
فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ،وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ.	وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهُ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ،وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ،لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ،فَجَهِلُوا حَقَّهُ،وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ،وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ،وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ.
مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ،وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ،وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ.	لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ،وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ،وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ،وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ،وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدُرَةِ،... وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ،وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ،وَأَحْدَاثٍ تَتَتَابَعُ عَلَيْهِمْ .
وَسَلَفَتِ الآبَاءُ،وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ،إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً صَلى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ لإِنْجَازِ عِدَتِهِ،وَإِتمامِ نُبُوَّتِهِ .	عَلَى ذلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ،وَمَضَتِ الدُّهُورُ.
كَرِيماً مِيلاَدُهُ،وَأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ	مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ،مَشْهورَةً

مُتَفَرِّقَةٌ،وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ،وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ،بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلّهِ بِخَلْقِهِ،أَوْ مُلحِدٍ فِي اسْمِهِ،أَوْ مُشِيرٍ إِلى غَيْرِهِ.	سِمَاتُهُ. فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ،وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكانِه مِنَ الْجَهَالَةِ .
كِتَابَ رَبِّكُمْ،مُبَيَّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ،وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ،وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ،وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ،وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ،وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ،وَمُرْسَلَهُ،وَمَحْدُودَهُ،وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ،مُفَسِّراً جُمَلَهُ،وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ .بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ،وَمُوَسَّعٍ عَلى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ،وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ،وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ،وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ،مُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ،وَبَيْنَ وَاجِبٍ بوَقْتِهِ،وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ،وَمُبَايَنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ.	مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ،أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ،وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ،وَمُوسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ . وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ،وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ،وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ،يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ،وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ.

الجدول (١٣)

التعزيز المادي والمعنوي

التعزيز المادي	التعزيز المعنوي
وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ،وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ.	الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ،وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ،وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ،الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ،وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ،الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ،وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ،وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ،وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ،فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ.
وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ،وَأَلْسِنَةٌ إِلَى	وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ،وَأَلْسِنَةٌ إِلَى

رُسُـلِهِ،وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَـائِهِ وَأَمْـرِهِ.وَمِـنْهُمُ الْحَفَظَـةُ لِعِبَادِهِ،وَالسَّـدَنَةُ لِأَبْـوَابِ جِنَانِـهِ. وَمِـنْهُمُ الثَّابِتَـةُ فِـي الأَرَضِـينَ السُّـفْلَى أَقْدَامُهُمْ،وَ ِالْمَارِقَـةُ مِـنَ اَلسَّـمَاءِ الْعُلْيَـا أَعْنَاقُهُمْ،وَالْخَارِجَـةُ مِـنَ الْأَقْطَـارِ أَرْكَـانُهُمْ ،وَالمُنَاسِـبَةُ لِقَـوَائِمِ الْعَـرْشِ أَكْتَافُهُمْ،نَاكِسَـةٌ دُونَـــهُ أَبْصَـــارُهُمْ،مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَـــهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ،مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُـبُ الْعِـزَّةِ وَاَسْـتَارُ الْقُـدْرَةِ،لَا يَتَوَهَّمُـونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصـوِيرِ ،وَلا يُجْرُونَ عَلَيْـهِ صِـفَاتِ الْمَصْـنُوعِينَ ،وَلَا يَحُدُّونَـهُ بِالْأَمَـاكِنِ،وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.	رُسُـلِهِ،وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَـائِهِ وَأَمْـرِهِ.وَمِـنْهُمُ الْحَفَظَـةُ لِعِبَادِهِ،وَالسَّـدَنَةُ لِأَبْـوَابِ جِنَانِـهِ. وَمِـنْهُمُ الثَّابِتَـةُ فِـي الأَرَضِـينَ السُّـفْلَى أَقْدَامُهُمْ،وَ ِالْمَارِقَـةُ مِـنَ اَلسَّـمَاءِ الْعُلْيَـا أَعْنَاقُهُمْ،وَالْخَارِجَـةُ مِـنَ الْأَقْطَـارِ أَرْكَانُهُمْ،وَالمُنَاسِـبَةُ لِقَـوَائِمِ الْعَـرْشِ أَكْتَافُهُمْ،نَاكِسَـةٌ دُونَـهُ أَبْصَـارُهُمْ،مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَـهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ،مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُـمْ حُجُـبُ الْعِـزَّةِ وَاَسْـتَارُ الْقُـدْرَةِ،لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصوِيرِ ،وَلا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِـــفَاتِ الْمَصْـــنُوعِينَ ،وَلَا يَحُدُّونَـــهُ بِالْأَمَاكِنِ،وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.(١)

الخاتمة

بعد أن رفع القلم ليعلن انتهاء رحلة علمية نفيسة قضيناها في رحاب خطبةٍ من خطب الإمام (ع) ، نود التنويه إلى أنَّ ما قدمناه هو محاولة منا ليس غير للولوج في بحرٍ لجيّ يزخر بالجواهر الدفينة فإن استطعنا أن نكشف عن بصيص نور منها بجهدنا المتواضع هذا عن منهج الإمام (ع) الذي اخترناه موضوعاً لبحثنا فذلك فضل الله تعالى علينا ، وإن لم نوفق لبلوغ المراد فحسبنا أنّ النقص والنسيان مما اتصف به الإنسان .... ولابد لهذا الإنسان أن يقف متأملاً إزاء كلامٍ هو فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق ما عدا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما جاء في وصف كلام أمير المؤمنين من ابن عمه عبد الله بن عباس في صفحات البحث المتقدمة .

والله تعالى يوفق للصواب

(١) هنا التعزيز متكرر ؛ لأنه متداخل مادياً ومعنوياً .

الباحثان

ديالى الخضراء

حماها الله ببركات أهل البيت (ع)

٢٠١١/١/١٣